الجزر الأفريقية تسترد هويتها الإسلامية

بعد خمسة قرون

جزر الرأس الأخضر أرض خصبة للإسلام

من أبرز علامات المد الإسلامي المعاصر في القارة الأفريقية عودة الإسلام إلى الجزر الأفريقية الواقعة في المحيط الأطلنطي، وذلك بعد انقضاء خمسة قرون على انتهاء الوجود الإسلامي من هذه الجزر، مثل جزر الرأس الأخضر و(سان تومي) ولقد كانت هذه الجزر الأفريقية جزرا إسلامية، ولكن المستعمر البرتغالي قد بدأ منذ عام ١٤٦٢م أكبر حملة لاقتلاع جذور الإسلام منها وأحالها إلى أكبر مستودع لتجارة الرقيق الذين تاجرت بهم ونقلتهم إلى الأمريكتين في سفن لا تليق بنقل البشر.

وترصد (الوعي الإسلامي) أحوال المسلمين في هذه الجزر وتسلط دوائر الضوء على تاريخها الإسلامي المشرق.

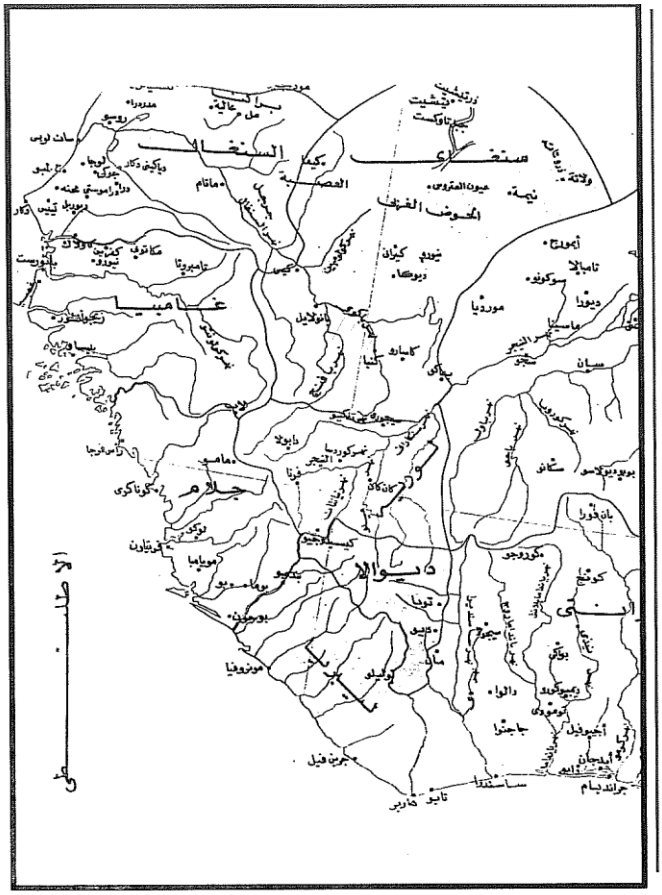

جزر الرأس الأخضر

بقلم: محمود بيومي

وجزر الرأس الأخضر، جمهورية أفريقية تقع في مياه المحيط الأطلنطي وتبعد عن السنغال و(غينيا بساو) بحوالي ٥٠٠ كيلو مترا لذا فهي إحدى دول غرب القارة الأفريقية، ويبلغ عدد سكانها ٣٨٥ ألف نسمة، بينما بلغ عدد الجزر التي تتكون منها هذه الجمهورية ١٠ جزر، وعاصمتها هي مدينة (برايا) التي توجد في جزيرة (سانت دياجو) واللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية، حيث استعمرتها البرتغال لمدة تزيد عن خمسة قرون من عام ١٤٦٢م، حتى حصلت على استقلالها منذ عام ١٩٧٥م، وتبلغ مساحة أراضي هذه الجمهورية ٤٠٣٣ كيلو مترا مربعا، وقد انضمت بعد استقلالها إلى الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية.

الجزر والناس

ومن أكبر الجزر التي تتكون منها جمهورية جزر الرأس الأخضر، جزر (سانت لويزا) و(سانت نيكولو) و(سال) و(فوجو) و(برافا) و(مايو) و(سانت دياجو) التي توجد بها العاصمة (برايا) ويعيش في العاصمة أكثر من ٥٠ ألف نسمة.

وسكان هذه الجزر مجموعة من القبائل الأفريقية التي هاجرت إليها من غرب أفريقيا وخاصة من السنغال وجامبيا وغينيا بساو وسيراليون.

وقد عرفت جزر الرأس الأخضر في التاريخ الأفريقي بأنها جزر استراحة العبيد، وقد أطلق عليها هذا الاسم بعد أن قامت البرتغال بتحويلها إلى أكبر مركز لتجميع الأفارقة تمهيدا

لنقلهم إلى العالم الجديد في الأمريكتين في سفن لا تليق بالبشر.

وقد شهدت هذه الجزر العديد من المآسي التي تعرض لها الأفارقة، الذين وقعوا في براثن الرق البرتغالي، حيث كان الأفارقة يباعون بثمن بخس للغاية، فالأفريقي كان يباع مقابل قطعة من القماش أو قطعة من الحديد، ولما انتعشت تجاة الرقيق باعت البرتغال الرجل الأفريقي بـ ١٣ سيخا من الحديد، بينما كان ثمن المرأة تسعة أسياخ، أما الصبية فقد تراوحت أثمانهم بين خمسة وسبعة أسياخ من الحديد، حيث كانت هذه الأسياخ تستخدم في صناعة الحراب والسهام، وهي من أهم الأسلحة التي كانت سائدة في أفريقيا في هذا الوقت.

الرحلة إلى العالم الجديد

واعتبرت جزر الرأس الأخضر من أهم مستودعات جمع الرقيق الأفريقي ومن أهم الأسواق العالمية في هذا الوقت. وكانت رحلة نقل الأفارقة إلى العالم الجديد في الأمريكتين رحلة شاقة تستغرق ثمانية أسابيع، دون أن يعطي الأفارقة حقهم في الراحة أو الطعام أو الشراب، ودون الحد الأدنى من الرعاية الطبية، لذا تراوحت أعداد الضحايا ما بين ٣٥ إلى ٤٥٪ من إجمالي حمولة السفن التي حملتهم إلى الأمريكتين، أما الذين تعرضوا للمرض خلال هذه الرحلة الشاقة، فكان قراصنة السفن يرمون بهم أحياء في مياه المحيط الأطلنطي.

٨٢ مليون أفريقي

وتضم الدول الأمريكية اليوم أكثر من ٨٢ مليون أسود، هم من سلالة الأفارقة الذين تم نقلهم إلى هناك من غرب أفريقيا، فيوجد في البرازيل ٣٠ مليون زنجي، وفي الولايات المتحدة الأمريكية نحو ٢٦ مليون أفريقي ومثلهم في دول البحر الكاريبي، وفي هايتي وحدها نحو ٨ ملايين أفريقي.

وبالرغم من هذه الحقائق التاريخية، فقد نسب الغرب – زورا – إلى العرب المسلمين اتجارهم بالرقيق الأفريقي، وقد أكد علماء الإسلام في أفريقيا، أن الرق صناعة غربية وأن الإسلام هو دين الحرية والعدالة الاجتماعية الذي صان حقوق الإنسانية.

وكانت جزر الرأس الأخضر قبل وقوعها في براثن المستعمر البرتغالي، تضم عناصر بشرية أفريقية مسلمة، وكان الإسلام هو أول دين سماوي في هذه الجزر كما كان غالبية سكانها من المسلمين.

وقد أسس المسلمون في هذه الجزر العديد من المساجد والمدارس القرآنية، ولكن المستعمر البرتغالي قضى على كل أثر إسلامي هناك وعمل على تفريغ الجزر من الوجود الإسلامي، فكان عدد السكان في القرن الخامس عشر الميلادي ٨٠٠ ألف نسمة من الأفارقة، نقل أغلبهم إلى الأمريكتين لزراعة الأراضي، بدلا من الهنود الحمر.

■ خمسة قرون من الاحتلال

محت الوجود الإسلامي

عودة الإسلام

وقد تكوّن في جزر الرأس الأخضر وفي (غينيا بساو) حزب سياسي واحد سعى لاستقلال البلاد، فحصلت بساو على استقلالها في عام ١٩٧٤م، ثم حصلت الرأس الأخضر على استقلالها في العام التالي، وأصبحت جزر الرأس الأخضر جمهورية منذ عام ١٩٧٥م، ولكنها طبقت النظام الشيوعي لمدة ١٥ عاما، ولم يسمح بالعمل الإسلامي في الجزر خلال هذه الفترة.

ومع انتهاء الحكم الشيوعي هناك في عام ١٩٩٠م، فتحت جمهورية جزر الرأس الأخضر صدرها لقبول دعوة الإسلام، وإقامة العلاقات مع الدول الإسلامية والعربية، فقامت سفارة السنغال بانشاء مسجد في العاصمة (برايا)، ورحبت جزر الرأس الأخضر بقوافل الدعاة الذين وفدوا إليها من دول غرب أفريقيا للتعريف بحقائق الدين الإسلامي الحنيف.

وقد وافقت السلطات على إنشاء أول مركز إسلامي في العاصمة، يضم مسجدا جامعا ومدرسة إسلامية، كما طالبت المؤسسات الإسلامية العالمية بافتتاح المساجد في جميع الجزر، وقد أدى ذلك إلى وجود أول مجتمع إسلامي معاصر، بعد غيبة الإسلام لمدة تزيد على خمسة قرون، ولم يصدر حتى الآن إحصاء رسمي بعدد المسلمين، إلاّ أنهم أقلية تعد بالمئات، وقد أشارت التقارير الواردة من (برايا) أن الدعوة الإسلامية كي تنهض في هذه الجزر، تحتاج إلى دعاة ممن يجيدون التحدث باللغة البرتغالية ووجود ترجمات لمعاني القرآن الكريم ومكتبات دينية بهذه اللغة، مما يؤكد أن جزر الرأس الأخضر أرض خصبة للإسلام.

سان تومي

والجمهورية الأفريقية الثانية التي تقع في مياه المحيط الأطلنطي، هي جمهورية (سان تومي) وهي عبارة عن جزيرتين، الأولى هي (جزيرة برنسيب) وتقع في مواجهة غينيا الإستوائية، والثانية هي جزيرة (سان تومي) وتقع في مواجهة الجابون، وتوجد الجزيرتان في خليج غينيا وتقعان شمال خط الاستواء، وتعرف منذ عام ١٩٧٥م بجمهورية (سان تومي وبرنسيب)، وقد حصلت على استقلالها بعد قرون طويلة من الاستعمار البرتغالي – مثل جزر الرأس الأخضر – وقد انضمت إلى الأمم المتحدة في ١٢ يوليو عام ١٩٧٥م.

(وسان تومي) من أصغر الجمهوريات الأفريقية، اذ تبلغ مساحة أراضيها ٩٦٤ كيلو مترا مربعا، وبلغ عدد سكانها ١٢٠ ألف نسمة من بينهم أكثر من

■ الرق صناعة غربية

والإسلام هو دين تحرر الإنسانية

الجزر الأفريقية

٣٠ ألف نسمة من المسلمين، يمثلون ربع عدد السكان هناك، واللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية في البلاد، كما توجد هناك لهجات أفريقية يتحدث بها سكان البلاد من الأفارقة، والعملة المتداولة هناك اسمها (أسكودو) والعاصمة هي مدينة (سان تومي) وينص دستور هذه الجمهورية الأفريقية على حرية العقيدة.

الجذور الإسلامية

وقد عرفت (سان تومي) الإسلام منذ القرن الثالث الهجري، حيث وصلتها بعثات إسلامية من المغرب العربي ونشروا الإسلام بين سكانها وكانوا على وثنيتهم، فاعتنق السكان الإسلام طواعية لسهولة تعاليمه الربانية ولمزاياه التشريعية.

وقد هاجر إلى (سان تومي وبرنسيب) عدد من مسلمي الدول الأفريقية التي تقع في غرب أفريقيا ووسطها منذ القرن الرابع الهجري - مثل نيجيريا والكاميرون والكونغو والجابون - وأسسوا في الجزيرتين حضارة إسلامية ونشروا دعوة التوحيد وأقاموا العديد من مؤسسات الدعوة والتعليم، فانتعشت حركة المد الإسلامي في البلاد.

ونشط الذين اعتنقوا الإسلام من قبائل (الفانج) و(البانتو) و(البوبي) و(البربر) في نشر دعوة الإسلام في الجزيرتين، حتى أن الشريعة الإسلامية كانت مطبقة في البلاد، واستقدموا القضاة الشرعيين من المغرب العربي في عام ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م، إلا أن الرحالة البرتغالي (دي جو كام) وصلها في بداية القرن الخامس عشر الميلادي وأسس هناك مركزا لتجارة الرقيق، حيث تم شحن نصف مليون أفريقي من (سان تومي) إلى الأمريكتين.

وأد الحضارة الإسلامية

وقد عهد المستعمر البرتغالي إلى محاربة انتشار الإسلام في البلاد فتم إلغاء القضاء الشرعي وإغلاق المساجد والمدارس الإسلامية ومصادرة المصاحف والكتب الدينية، وأحال البلاد إلى سوق للرقيق وكانت سياسته معادية للإسلام والمسلمين، حتى لم يبق في الجزيرتين من يجاهر بإسلامه، وهكذا قضى على الإسلام والمسلمين في سان تومي وبرنسيب، كما فرض المستعمر لغته وقانونه وثقافته على السكان، بعد أن ضرب كل مرتكزات العمل الدعوي والتعليمي، فنشأت الأجيال وهي لا تعرف شيئا عن الإسلام.

الانفراج النسبي

ومن عام ١٩٧٠م حدث انفراج نسبي للاتصال بالأفارقة، فحدثت هجرات نسبية أيضا تمثلت في هجرة بعض مسلمي غرب أفريقيا إلى (سان تومي)، فتأسست من جديد جالية إسلامية، حتى انتعشت مؤسسات الدعوة بعد حصول سان تومي على استقلالها في عام ١٩٧٥م، فحدثت هجرات إسلامية أفريقية معاصرة ركزت جهودها في إبلاغ دعوة الإسلام، وهكذا عاد الإسلام من جديد إلى سان تومي.

٢٥٪ مسلمون

وبلغ عدد المسلمين في سان تومي ١٥٠ أسرة مسلمة يمثلون ٢٥٪ من إجمالي عدد السكان، وهذه الأسر ذات جذور إسلامية لذا فإن جميع أفراد الأسرة الواحدة يشهرون إسلامهم دفعة واحدة، ولا يوجد اختلاف عقائدي داخل هذه الأسر.

وقد تأسست في سان تومي أول جمعية إسلامية لتنظيم شؤون المسلمين، وقد حصلت على ترخيص من السلطات بانشاء بعض المدارس القرآنية وبعض الكتاتيب وبعض المساجد، كما وافقت السلطات على إنشاء أول مركز إسلامي في العاصمة (سان تومي)، وتم تخصيص الأرض اللازمة لإقامة هذا المشروع الإسلامي.

وغادر سان تومي وفد إسلامي برئاسة الشيخ محمد ليما رئيس الجمعية الإسلامية، في جولة ببعض الدول العربية للتعريف بأحوال المسلمين في بلاده، والحصول على الدعم العربي لإقامة المركز الإسلامي باعتباره البداية الصحيحة للعمل الإسلامي الجاد، وحتى تسترد (سان تومي) هويتها الإسلامية□

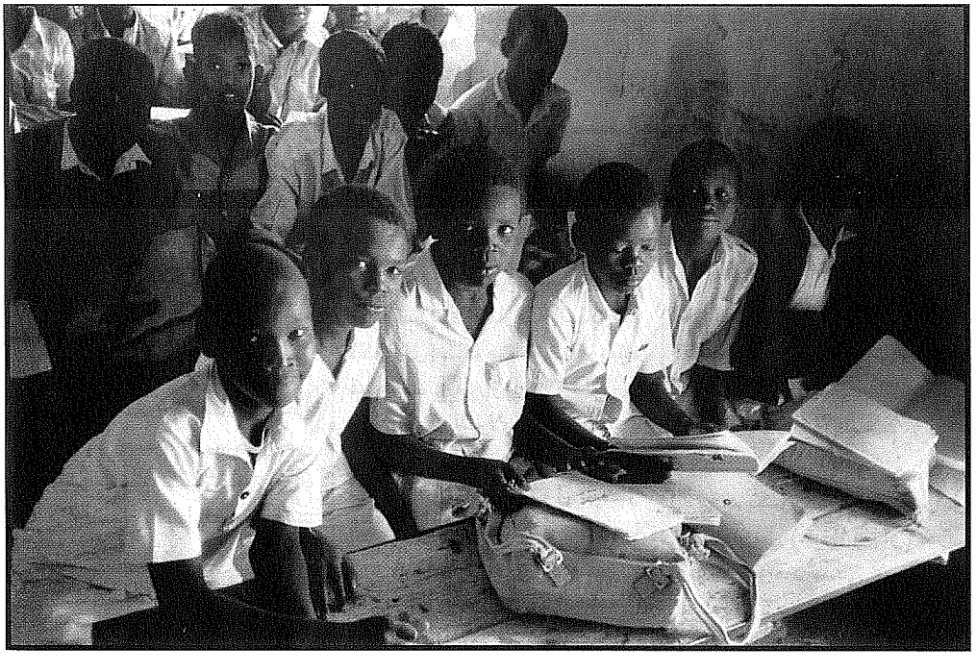

مصدر المادة:

مجلة الوعي الإسلامي

العدد ٣٤١ – المحرم ١٤١٥هـ